

## قرنان على «وعد» بلفور

بحث وتجميع: د. إبراهيم حمامي

لحظة من فضلكم..... العنوان صحيح، وليس خطأ مطبعياً أو حسابياً، وأعلم أن تاريخ صدور الوعد المشؤوم هو ١٩١٧/١١/٠٢، ولكن هل هذا صحيح؟ ربما هذا ما نعرفه جميعاً، ولكن ما إكتشفته عندما توجه أخي الذي يصغرنى بسنوات ثلاث بطلب شخصي أن أكتب عن وعد بلفور، هو أن الوعد له قصة وتاريخ ومؤامرات لا حصر لها تعود بجذورها إلى الوراء أكثر مما نتصور جميعاً، وما نعرفه لا يتجاوز ما نسمعه كل عام أن "اليوم تمر الذكرى كذا لصدور وعد بلفور"، وهو وللمفارقة لم يحدث هذا العام وكان الوعد ألغى أو إنتهى أو لم يعد له وجود أو تأثير وهو ما يثير تساؤلات عدة حول محاولات طمس الحقائق وتزوير التاريخ و"إنشاء" المحطات النضالية لشعبنا وتغيير المبادئ، والتي صارت جميعها صفة وسمة واضحة لمن يدعون قيادة شعبنا.

حاولت أن يكون نشر هذا الموضوع يوم ٢٠٠٤/١١/٠٢ ولأقول كغيري "تمر اليوم الذكرى ٨٧ لوعد بلفور"، ولكن ما أن بدأت في قراءة التفاصيل وما جمعته من معلومات وقصاصات وكتابات حتى تيقنت أن الموضوع سيأخذ أكثر مما كنت أظن، فالوعد المذكور هو وعد بدأت منذ القرن الثامن عشر وعلى شكل جرعات صغيرة متتالية ومتوالية لم تتوقف، ومن أطراف عدة ضمن مخطط غربي عالمي يصل لمستوى الحملة الصليبية المدروسة، وهذا ليس مبالغة أو تبني لنظرية المؤامرة كما سيتضح لاحقاً، لكنه مخطط بنفس طويل جداً للوصول إلى الوعد الذي نعرفه، وبإعداد محكم في ظل تغييب لإرادة الشعوب في المنطقة.

لن أسترسل أكثر من ذلك وسأبدأ بالقصة، ولكن بشكل معكوس غير ما ألفناه، ستكون القصة لفترة ما قبل الوعد المشؤوم، والمؤامرات التي سبقتها من قبل الجميع بمن فيهم أبناء جلدتنا، لينتهي السرد بدلا من أن يبدأ بإعلان يوم ١٩١٧/١١/٠٢، مع الشكر لأخي الذي جعلني أكتشف ضحالة ما أعرفه وجهلي بحقبة تاريخية هامة، بل ربما الأهم في تاريخ شعبي.

### البدايات المعروفة: صراع فرنسي-بريطاني

ترجع البدايات الأولى لفكرة إنشاء وطن خاص باليهود، يجمع شتاتهم ويكون حارساً على مصالح دول (أوروبا) الاستعمارية في الشرق إلى ما قبل الحملة الفرنسية على مصر، وظهرت أولى العلامات في وعد "نابليون" بإنشاء دولة لليهود، وتصوروا أين؟ في فلسطين، حيث دعاهم "لإعادة بناء الهيكل بإعتبارهم ورثة إسرائيل الشرعيين!"، هذه الدعوة جاءت في شهر آذار/مارس من عام ١٧٩٩ أي قبل أكثر من قرنين من الزمن وهو ما قصدته بالعنوان.

كان نابليون يحلم بإقامة دولة تابعة له في فلسطين لتشكل شوكة في حلق غريمته انجلترا ولتصبح اداته في السيطرة على مصر وطرق المواصلات إلى الشرق، وبعد ان فشلت حملة نابليون إلى مصر عاد إلى أوروبا وحقق فيها انتصارات باهرة. وتألق تاج الامبراطورية على رأسه ولكنه ظل يحلم بمشروعه وخشي ان يستفيد الانجليز من فكرته ببناء دولة لليهود في فلسطين. ولكي يسد الطريق عليهم وانطلاقاً من قانون المصلحة الاستعماري دعا في عام ١٨٠٧ إلى اجتماع السانهدرن وهو المجلس الكهنوتي الاعلى لليهود في أوروبا. وجعل الكهنة يتخذون قرارا يعلنون فيه ان اليهود ينتمون إلى قوميات البلاد التي يعيشون فيها وان اليهودية هي دينهم فقط.

وقد وجدت هذه الدعوة صدى لها لدى كثير من اليهود، فقد كتب المفكر اليهودي (موسى هس) يقول: إن "فرنسا" لا تتمنى أكثر من أن ترى الطريق إلى "الهند" و"الصين" وقد سكنها شعب على أهبة الاستعداد لأن يتبعها حتى الموت.. فهل هناك أصلح من الشعب اليهودي لهذا الغرض!؟

لقد التقت المصالح الاستعمارية الأوروبية في انتزاع فلسطين من الوطن العربي مع المصالح الصهيونية بإقامة وطن قومي لليهود، بل إن قادة أوروبا هم الذين عرضوا على اليهود إقامة وطن لهم في فلسطين، قبل أن تطرح الحركة الصهيونية الفكرة بسنوات طويلة، وعلى الأخص من جانب فرنسا وبريطانيا في محاولة للتخلص من المشكلة اليهودية في أوروبا وتحقيق مكاسب استعمارية من الدولة اليهودية.

كان التنافس الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا واضحاً في الشرق الأوسط، حتى قبل قيام الحركة الصهيونية، وكان هدف كل منهما حماية مصالحه في المنطقة، وملاحقة الدولة الأخرى من أجل إيدائها أو منافستها على تلك المصالح، وإيجاد الوسائل المختلفة التي تحمي مصالحها واعتقدت بريطانيا بعد فشل نابليون بونابرت في مصر وبلاد الشام، أنه من المفيد إيجاد بدائل أخرى في الشرق الأوسط، لاستمرار تفوقها على فرنسا. وقد وجدت في فلسطين مكاناً ملائماً لبيسط نفوذها بسبب الموقع الجغرافي الذي تتمتع فيه وسط الوطن العربي وباعتبارها البوابة التي تربط بين آسيا وأفريقيا، ولهذا فإن من مصلحة الاستعمار الأوروبي والبريطاني بالذات، فصل الجزء الآسيوي عن الجزء الأفريقي من الوطن العربي، وخلق ظروف لا تسمح بتحقيق الوحدة بين الجزئين في المستقبل .

بدأ الموقف البريطاني يتضح بعد حملة محمد علي باشا والي مصر الى الشام، عندما أرسل ابنه ابراهيم باشا الى المنطقة، مما أثار بريطانيا لأنها خشيت أن تتوحد مصر مع بلاد الشام في دولة واحدة، لهذا ساهمت بريطانيا مع الدولة العثمانية في إفشال حملة ابراهيم باشا على بلاد الشام .

وبعد تدخل بريطانيا، أرسل بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا مذكرة إلى سفيره في استانبول في عام ١٨٤٠، شرح فيها الفوائد التي سوف يحصل عليها السلطان العثماني من تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين وقال: «إن عودة الشعب اليهودي إلى فلسطين بدعوة من السلطان وتحت حمايته يشكل سداً في وجه مخططات شريرية يعدها محمد علي أو من يخلفه» .

وفي مارس / آذار ١٨٤٠ وجه البارون اليهودي روتشيلد خطاباً إلى بالمرستون قال فيه : «إن هزيمة محمد علي وحصر نفوذه في مصر ليسا كافيين لأن هناك قوة جذب بين العرب، وهم يدركون أن عودة مجدهم القديم مرهون بإمكانات اتصالهم واتحادهم، إننا لو نظرنا إلى خريطة هذه البقعة من الأرض، فسوف نجد أن فلسطين هي الجسر الذي يوصل بين مصر وبين العرب في آسيا. وكانت فلسطين دائماً بوابة على الشرق. والحل الوحيد هو زرع قوة مختلفة على هذا الجسر في هذه البوابة، لتكون هذه القوة بمثابة حاجز يمنع الخطر العربي ويحول دونه، وإن الهجرة اليهودية إلى فلسطين تستطيع أن تقوم بهذا الدور، وليست تلك خدمة لليهود يعودون بها إلى أرض الميعاد مصداقاً للعهد القديم، ولكنها أيضاً خدمة للإمبراطورية البريطانية ومخططاتها، فليس مما يخدم الإمبراطورية أن تتكرر تجربة محمد علي سواء بقيام دولة قوية في مصر أو بقيام الاتصال بين مصر والعرب الآخرين».

ذهبت احلام نابليون ادراج الرياح، وإصطدمت طموحات بالمرستون بالواقع، ذلك لان اليهود انفسهم لم يكونوا معنيين ولا راغبين بما يطرح عليهم، فلقد كانت حركة الاندماج اليهودية (هسكلية) في اوج نشاطها وكان مجرد دعوتهم لمغادرة اوطانهم ليذهبوا إلى بلاد اخرى لا تربطهم بها اية مصالح يضربهم كمواطنين في البلاد التي ينتمون اليها.

إلا أن الفكرة لم تمت، ولم يستسلم خلفاء بالمرستون خاصة بعد افتتاح قناة السويس فعادوا للتمسك بمخططهم الصهيوني الاستعماري والدعوة لتوطين اليهود في فلسطين. ولقد تمكن ديزرائيلي رئيس وزراء بريطانيا من شراء حصة الخديوي من قناة السويس عام ١٨٧٥ وكان ديزرائيلي ووزير خارجيته اللورد سالزبري يتبنيان مشروع بالمرستون فشجعا اللورد لورنس اوليقانت بالتفاوض مع الحكومة العثمانية حول ارض يمكن لليهود استيطانها، ولكن الاحداث تلاحقت ففي عام ١٨٨٠ فاز حزب الاحرار في الانتخابات وتولى غلادستون محل ديزرائيلي، وبحث الصهاينة اليهود عن صهاينة بريطانيا امثال (بالمرستون وشافنسري وديزرائيلي وسالزبري)... فلم يجدوهم!

## الدور الأمريكي:

قد يستغرب القارئ وجود دور أمريكي في سياق الحديث عن "وعد أو وعود بلفور" ولكن الحقيقة أن الجميع تأمر، ويمكن تلخيص الدور الأمريكي في النقاط التالية:

- لقد كان المهاجرون البروتستانت الأوائل إلى أمريكا يؤدون صلواتهم باللغة العبرية ، ويطلقون على أبنائهم وبناتهم أسماء أنبياء ، وأبناء وبنات بني إسرائيل ، الوارد ذكرهم في التوراة ، كما قاموا بفرض تعليم اللغة العبرية في مدارسهم، حيث شبهوا خروجهم من أوربا إلى أمريكا ، بخروج اليهود أيام موسى عليه السلام ، من مصر إلى فلسطين ، حيث نظروا إلى أمريكا على أنها (بلاد كنعان الجديدة) أي فلسطين ، ونظروا أيضاً إلى الهنود الحمر وهم سكان أمريكا الأصليين – على أنهم الكنعانيون العرب ، وهم سكان فلسطين الأصليين!

- وعندما أسسوا جامعة (هارفارد) عام ١٦٣٦م كانت اللغة العبرية هي اللغة الرسمية للدراسة في الجامعة ، وفي عام ١٦٤٢م نوقشت أول رسالة دكتوراه في جامعة (هارفارد) وكان عنوانها (اللغة العبرية هي اللغة الأم)
  - قامت أمريكا في عام ١٨٤٤م بفتح أول قنصلية لها في القدس ، وهناك بدأت تقارير القنصل الأمريكي تتوالى على رؤسائه ، وقد كانت تتمحور حول ضرورة التعجيل في جعل فلسطين وطناً لليهود
  - وفي عام ١٨٩١م قام أحد أبرز زعماء الصهيونية المسيحية في ذلك الوقت ، وهو القس (ويليام بلاكستون) بعد عودته من فلسطين برفع عريضة إلى الرئيس الأمريكي (بنيامين هاريسون) دعاه فيها إلى الاقتداء بالإمبراطور الفارسي (قورش) الذي أعاد اليهود من السبي البابلي إلى فلسطين
  - كذلك قام القس (بلاكستون) بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني اليهودي الأول عام (١٨٩٧م) بتوجيه انتقاده إلى زعيم المؤتمر (تيودور هرتزل) لأنه وجد منه تساهلاً في إقامة الدولة اليهودية في فلسطين
- هذه كانت أهم نقاط التوجه الأمريكي في مجتمع ودولة ناشئة، وبالتأكيد لم ينته الأمر هنا ولكن لنا عودة للموقف الأمريكي لاحقاً.

### الدور الروسي - الألماني:

وفي مواجهة دعاة الهجرة إلى أمريكا من اليهود والذين كانوا يعتبرونها اورشليمهم ويعتبرون واشنطن بمثابة ارض صهيون. سعى هرتزل إلى التقرب من الامبراطور غليوم لدعم مشروعه وقد تحقق له اللقاء على رأس وفد صهيوني مع الامبراطور في مدينة القدس التي كان الامبراطور يزورها عام ١٨٩٨. وقد اكد الامبراطور للوفد الصهيوني بان "المساعي الصهيونية في فلسطين التي تحترم سيادة حليفته تركيا تستطيع ان تعتمد على رعايته الكاملة" وقد ترجم الامبراطور وعده بهذه الرعاية بتوثيق العلاقة بين المستوطنين والصهاينة والمستوطنين الالمان من جماعة هوفمان الذين بدأوا عام ١٨٧٠ بإنشاء مستعمرات زراعية المانية في القدس وحيفا ويافا تنفيذاً لمشروع القائد العسكري الالمانى "مولتكه" بجعل فلسطين مستعمرة المانية.

وفي عام ١٨٨١ وقعت المذابح المعادية لليهود في روسيا اثر اغتيال القيصر. وقد نتج عن هذه المذابح هجرة واسعة من يهود روسيا إلى أوروبا الشرقية والغربية مما اسرع في انهيار حركة الاندماج كما ان صدور قوانين ايار في روسيا عام ١٨٨٢ والتي تضيق الخناق على حياة اليهود زادت في هذه الهجرة. وتشكلت مراكز يهودية متينة دعوة ليوينسكى في كتابه (التحرر الذاتي) وظهرت منظمة احباء صهيون في أوكرانيا، الداعية إلى الهجرة إلى فلسطين والاستيطان فيها.

حاول الصهاينة الألمان إدخال أطروحتهم القومية معلنين أنهم:

"مرتبطين سوية بانحدارهم وتاريخهم المشترك يؤلف يهود كافة الأقطار جماعة قومية. وهذا الاعتقاد لا يناقض بحال من الأحوال مشاعرهم الوطنية النشيطة وقيامهم بواجبات المواطنة وخاصة تلك التي يشعر بها اليهود الألمان حيال وطنهم الأم ألمانيا".

لقد كان مقر المنظمة الصهيونية في وقت اندلاع الحرب العالمية الأولى في برلين. وحاول قادتها، وجلهم من الصهاينة الموالين لألمانيا، أن يسخروها خدمة لأغراضهم ومطامعهم.

### الموقف العثماني:

حاول الحركيون اليهود بزعامه هرتزل - بدعم أوروبي شاركت فيه آنذاك ألمانيا وبريطانيا - الضغط على الخلافة العثمانية لانتزاع ميثاق من السلطان عبد الحميد الثاني يمنح اليهود حق الإستيطان في فلسطين والسماح بهجرتهم إليها، غير أن السلطان العثماني رفض الضغوط الأوروبية وإجراءات اليهود .

وفي الفترة بين عامي ١٩٠٠ - ١٩٠١ أصدر السلطان عبد الحميد بلاغاً يمنع المسافرين اليهود من الإقامة في فلسطين لأكثر من ثلاثة أشهر، كما أمر بمنع اليهود من شراء أي أرض في فلسطين، خشية أن تتحول هذه الأراضي إلى قاعدة لهم تمكنهم من سلخ فلسطين عن بقية الجسد المسلم .

وفي عام ١٩٠٢ تقدم اليهود بعرض مغر للسلطان عبد الحميد يتعهد بموجبه أثرياء اليهود بوفاء جميع ديون الدولة العثمانية وبناء أسطول لحمايتها، وتقديم قرض بـ(٣٥) مليون ليرة ذهبية لخزينة الدولة العثمانية المنهكة، إلا أن السلطان رفض العروض وكان رده كما جاء في مذكرات ثيودور هرتزل: (انصحوا الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، لأنني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض، فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي، لقد ناضل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمائه، فليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت امبراطوريتي يوماً فإنهم يستطيعون أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حي فإن عمل المبعض في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من الامبراطورية الاسلامية، وهذا أمر لا يكون، فأنا لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة ..).

وعندما أيقن اليهود بفشل جميع المحاولات الممكنة بدأوا بالعمل على إسقاط الخلافة العثمانية، حيث استطاعوا التسرب عن طريق طائفة يهود الدونمة التي تظاهر أفرادها بالإسلام وحملوا الأسماء التركية، ودخلوا في جمعية "الاتحاد والترقي" ووصلوا الى الحكم سنة ١٩٠٧، وتساعد النشاط الصهيوني في فلسطين بدعم من أنصار الاتحاد والترقي ويهود الدونمة الذين سيطروا على مقاليد السلطة في الاستانة حيث سمح الحاكم العثماني الجديد لليهود بالهجرة إلى فلسطين وشراء الأراضي فيها، مما فتح الباب أمام المنظمات الصهيونية للبدء بالنشاط العملي على نطاق واسع حتى سقطت الخلافة رسمياً سنة (١٩٢٤).

### في المقابل: الدور العربي

كان العرب وقبل صدور الوعد مباشرة مشغولون في قتال الدولة العثمانية/تركيا تحت مسمى الثورة العربية فتحالفوا مع بريطانيا تحديداً من أجل هذا الغرض، ومارست بريطانيا بدورها سياسات الخداع والمراوغة والوعود البراقة بالإستقلال والحرية والإنعتاق التي لم يتحقق منها شيء.

أما بخصوص ما نحن فيه فقد كان الناطق العربي الوحيد الذي له شأن وسلطة فيصل بين الحسين الذي قدم احتجاجاته بإلحاح، وقد نفى أولاً يديه، في رسالة رسمية إلى الحكومة البريطانية، بعد تسرب معلومات من مصادر يهودية بأنه "أقر" لهم بسياسة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وقال في رسالته: "إن كل ما اعترفت به هو أن أو من حقوق اليهود في تلك البلاد بالقدر الذي أو من به حقوق السكان العرب المحليين". و جلب الانتباه إلى معارضة سكان عرب فلسطين القوية، وأكد وجهة النظر العربية بأن فلسطين هي ضمن المناطق التي وعدت بريطانيا بمنحها الاستقلال وعبر عن ثقته بأن ذلك الوعد البريطاني لا يلغيه وعد لاحق للصهيونيين. وأضاف أن والده (ال الشريف حسين) مخول، حتى بمقتضى اتفاقية سايكس - بيكو، أن يؤخذ رأيه بصدد مستقبل فلسطين، لكنه، ومما يثير للدهشة، لم يشير إلى الرسالة البريطانية إلى والده التي تلقاها بواسطة "هو غارت" والتي جعلت الوعد لليهود خاضعاً لحرية عرب فلسطين السياسية والاقتصادية. وختم فيصل رسالته قائلاً: إذا ما أمكن الإبقاء على وحدة سوريا وفلسطين، "فبوسعنا أن نتوصل إلى حل يؤمن مصالح جميع من يهمهم الأمر".

أما الشريف حسين فقد غرق حتى أذنيه في الوعد والمراسلات التي عرفت بمراسلات "حسين-مكماهون" في تشرين أول/أكتوبر ١٩١٥ والتي استطاعت بريطانيا من خلالها تخديره ومن معه حتى تطبيق المخطط الرهيب.

في المقابل، يلاحظ أن الفلسطينيين، وبعكس معسكر الشريف حسين، في تلك الفترة كانوا يصرون على اعتبار فلسطين جزءاً من سورية الكبرى، ويرفضون تجزئة النضال، أو طرح مطالب إقليمية خاصة بهم، على الرغم من خصوصية قضيتهم لاختلاف الخطر عليهم عن بقية أبناء سورية الكبرى حيث إنهم كانوا مهتدين بالهجرة اليهودية إلى بلادهم، بينما كانت بقية الأقطار العربية تعاني من الاستعمار البريطاني أو الفرنسي من دون أن تشكل الهجرة اليهودية أي تهديد ضدها.

لكن كيف استطاعت الحركة الصهيونية بلورة المشروع الإستيطاني؟ وما هي الخطوات التي أوصلتها لإنتراع وعد بلفور المشؤوم وما ترتب عليه؟ هذا ما ستشرحه النقاط السريعة التالية:

● رغم أن جذور إنشاء وطن لليهود سبقت بعقود الحركة الصهيونية إلا أن بدايات تنفيذ المشروع لم تتبلور إلا بهذه الحركة العنصرية الإستيطانية، والتي لم تترك باباً إلا طرقته ومشت حسب برنامج واضح وبخطوات سنوية محددة لم تخلو من الخلافات والنزاعات التي كانت تصب أساساً حول التطرف وسرعة تحقيق "الحلم" الصهيوني.

● الحركة الصهيونية، كجسم سياسي منظم، هي من صنع تيودور هيرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤)، اليهودي المجري، الذي نشر في سنة ١٨٩٦ كتابه "دولة اليهود"، وعرض فيه مفهومه لجذور "المسألة اليهودية"، وبالتالي وجهة نظره في حلها، عبر انشاء "امة يهودية" مستقلة، على ارض تمتلكها. والمنظمة التي اسسها في المؤتمر الصهيوني الاول (بازل، ١٨٩٧) كانت من اجل تحقيق ذلك الهدف، ومن خلالها تحرك هيرتزل بين الجوالي اليهودية، كما على الساحة السياسية الدولية، داعياً الى مشروعه، كما بيّنا سابقاً، بينما يقر في مذكراته بانه "يدير شؤون اليهود من دون تفويض منهم، لكنهم مسؤول ازاءهم عما يعمل". وفي المحصلة، فانه رأى في المسألة اليهودية قضية دولية، وعليه، يجب حلها في هذا الاطار، ومن على منبر السياسة الدولية. وادعى ان مسألة اليهود في العالم تخص جميع شعوبه، وبالتالي فعلى الامم المساهمة في حلها، وواجبه هو وضع المسألة في جدول أعمال السياسة الدولية، الامر الذي يستلزم اقامة هيئة منظمة لذلك الغرض.

● المؤتمر الصهيوني الأول عقد في مدينة بازل أيام ٢٩ - ٣١ آب / أغسطس ١٨٩٧، بحضور ٢٠٤ مندوبين "تلثم من روسيا"، ومنه انطلقت الصهيونية السياسية وخرجت الفكرة الإستيطانية إلى حيز التنفيذ.

● المؤتمر الثاني: عقد هذا المؤتمر في بازل ايضاً أيام ٢٨ - ٣١ آب/ أغسطس ١٨٩٨، وحضره ٣٤٩ مندوباً، يمثلون ٩١٣ اتحاداً صهيونياً محلياً. قرر المؤتمر تأسيس صندوق الاستيطان اليهودي كما أعيد انتخاب هيرتزل رئيساً للمنظمة، ونوردو نائباً له، و تقرر ان يتمثل كل ٤٠٠ عضو في اتحاد صهيوني، يدفعون الشيكل، بمندوب واحد الى المؤتمر الثالث، بدلاً من كل ١٠٠ عضو للمندوب الى المؤتمر الثاني. كما أسست في هذا المؤتمر "جمعية التخاطب باللغة العبرية".

● المؤتمر الثالث: عقد في بازل ايضاً أيام ١٥ - ١٨ آب/ أغسطس ١٨٩٩، وافتتح هيرتزل المؤتمر بتقرير عن لقاءاته مع قيصر المانيا، فيلهلم الثاني في القسطنطينية (٨ تشرين الاول/أكتوبر ١٨٩٨) ثم في القدس (٢ تشرين الثاني/نوفمبر ١٨٩٨). اتخذ المؤتمر قراراً بمنع استعمال اموال الصندوق لعمليات خارج فلسطين وسورية، كما اقر عدداً من الانظمة الداخلية المتعلقة بالجهاز الاداري، وتقسيم العمل بين هيئات المنظمة.

● توالى بعدها المؤتمرات واللقاءات وفي كل سنة كانت المنظمة الصهيونية تسجل إنجازاً جديداً نحو تحقيق الهدف بإنشاء وطن قومي لليهود حتى افتخر زملاء هرتزل وتلامذته بأن إنجاز الزعيم الصهيوني تلخص في أنه "جعل الصهيونية عاملاً سياسياً تقر به دول العالم (الكبرى) وتبجح ماكس نوردو زميل هرتزل الأقرب في خطابه أمام المؤتمر الصهيوني السادس (بال- ٢٤ آب/ أغسطس ١٩٠٣) بأن أربع دول هي أعظمها وتسيطر على الكرة الأرضية أعربت عن عطفها إن لم يكن على الشعب اليهودي فعلى الأقل على الحركة الصهيونية، الإمبراطورية الألمانية أعربت عن عطفها.. بريطانيا قرنت عطفها بالاستعداد العملي لتساعد الصهيونية.. الحكومة الروسية (القيصرية) أعلنت خططها لمساعدتنا... والولايات المتحدة اتخذت خطوات دبلوماسية توحى بالأمل بأنها ستكون عطوفة حين يحين الوقت.

● لم يتوقف دور المنظمة الصهيونية بعد موت هرتزل بل استمر بنفس الوتيرة ولنفس الهدف وبعد اتفاقية سايكس - بيكو (١٩١٦) التي حصلت فرنسا بموجبها على أجزاء من سوريا وجنوب الأناضول وعلى منطقة الموصل في العراق (لونت باللون الازرق)، وحصلت بريطانيا على أراضي جنوب سوريا إلى العراق شاملة بغداد والبصرة والمناطق الواقعة بين الخليج العربي والأراضي الممنوحة لفرنسا وميناء عكا وحيفا (لونت باللون الأحمر) ، أما بقية مناطق فلسطين فقد لونت باللون البني، واتفق على أن تكون دولية. في أعقاب تلك الاتفاقية عمد قادة الحركة الصهيونية وعلى رأسهم اللورد روتشيلد وحاييم وايزمان لاجراء اتصالات مع بريطانيا أدت إلى إصدار وعد بلفور، وكان من الأسباب التي دفعت بريطانيا للموافقة على الوعد هو أن تكون الدولة اليهودية خط الدفاع الأول عن قناة السويس واستمرار تجزئة الوطن العربي.

استمرت الضغوطات الصهيونية والمؤامرات الدولية دون توقف ومرت بعدة مراحل تمهيدا لصدور وعد بلفور المشؤوم وبمشاركة الجميع كما سبق وأوضحنا حسب تسلسل للأحداث سريع ومتلاحق في ظل غياب بل غيبوبة عربية وإسلامية، وكان الدور البريطاني في هذه المؤامرة حاسماً بدعم وتأييد من الآخرين:

● ما إن وضعت الحرب تركة الإمبراطورية التركية على جدول الأعمال حتى تقدم هربرت صموئيل الذي اشترك في الوزارة البريطانية في هذه الفترة وكان أول مندوب سام بريطاني في فلسطين فيما بعد بمشروع يقوم على ضم فلسطين إلى الإمبراطورية البريطانية وزرع ثلاثة أو أربعة ملايين يهودي فيها وبذلك يتحقق حلف بين الفريقين يخدم مصالح بريطانيا.

● وفي هذا الوقت بالذات في نهاية عام ١٩١٤ ومطلع عام ١٩١٥ كان حاييم وايزمن يكتب لأحد أساطين الإمبرياليين س.ب. سكوت محرر مانشستر غارديان: "في حالة وقوع فلسطين في دائرة النفوذ البريطاني وفي حالة تشجيع بريطانيا استيطان اليهود هناك.. فستستطيع خلال عشرين أو ثلاثين سنة من نقل مليون يهودي أو أكثر إليها فيطورون البلاد ويشكلون حارساً فعالاً يحمي قناة السويس" (كتابه التجربة والخطأ طبعة نيويورك شوكن ١٩٦٦ ص ١٤٩).

● كتب رئيس وزراء بريطانيا هربرت اسكويث في كتابه "شكريات وتأملات ١٨٥٢-١٩٢٨" تحت التاريخين ٢٨ كانون الثاني/يناير و ١٣ آذار/مارس ١٩١٥ يصف بعض ملامح مشروع هربرت صموئيل ولاحظ أن "الغريب في الأمر أن يكون نصير المشروع الوحيد الآخر (في الوزارة) لويد جورج ولا حاجة بي للقول انه (لويد جورج) لا يهتم بالمرءة باليهود، لا بماهيتهم ولا بمستقبلهم ولكنه يعتقد أنه من انتهاك الحرمة السماح بانتقال الأماكن المقدسة (في فلسطين) إلى حوزة أو حماية "فرنسا اللا إدارية الملحدة" (الجزء ٢ ص ٧١ و ٧٨). لقد تعلم الإمبرياليون منذ وقت طويل تغليف مطامعهم بغلافات الحماس الديني والقلق على مصيره. فلويد جورج، وفي عهد رئاسته الوزارة صدر وعد بلفور. كان في هذا الوقت المبكر من الحرب يرى فائدة العامل الصهيوني في ضم فلسطين للإمبراطورية البريطانية بشكل من الأشكال. وفي سبيل ذلك كان مستعداً أن "يمنح الأماكن المقدسة لليهود" حماية لها من "فرنسا اللا إدارية الملحدة"!!

● كما كتب لويد جورج الذي رأس الوزارة البريطانية في الفترة الأخيرة من الحرب وبعدها في كتابه "الحقيقة حول معاهدات الصلح" (لندن ١٩٣٨ المجلد الثاني ص ١١٥): ان نوايا الدول الحليفة بشأن فلسطين حتى عام ١٩١٦ جسدها اتفاق سايكس-بيكو بموجبه "كانت البلاد ستشوه وتمزق إلى أقسام لا تبقى هناك فلسطين".

● كان وزير الخارجية البريطانية عام ١٩١٧ من أكثر المتحمسين للفكرة الصهيونية وحاول إقناع أعضاء الحكومة في إجتماعهم يوم ١٠/٠٤/١٩١٧ بأن يهود روسيا وفرنسا يدعمون فكرته بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين معتمداً على تقارير من الصحاينة المقيمين في لندن ومتجاهلاً التقارير الرسمية من مندوبي وسفراء الحكومة في مواقع الحدث.

● وفي اجتماع الوزارة البريطانية بتاريخ ٣١ تشرين الأول/أكتوبر أوضح بلفور نفسه ما يفهمه من التعبير "وطن قومي يهودي". يعني شكلاً من أشكال الحماية البريطانية أو الأمريكية أو غيرهما ستتوفر لليهود في ظلها مرافق وتسهيلات كافية تتيح له بناء مقومات خلاصهم الذاتي فيرسون بالمؤسسات التربوية والصناعية قواعد مركز حقيقي للثقافة القومية وموتلاً للحياة القومية، وهو لا ينطوي بالضرورة على تأسيس دولة يهودية مستقلة في أمد قريب، إذ يتوقف هذا الأمر على التطور التدريجي وفقاً لسنة التطور السياسي المعهودة".

هذه باختصار مراحل الوصول لوعد بلفور الذي نسمة به كل عام في مثل هذا الوقت ولم نقرأ أو نسمع يوماً عن الأحداث والمؤامرات التي أوصلتنا إليه. لكن يبقى السؤال: هل إنتهت المؤامرة بصدور القرار أو الوعد؟ الإجابة بكل تأكيد لا، ورغم أن الموضوع كان من المفترض أن ينتهي بحلول يوم ١١/٠٢/١٩١٧ إلا أنني أستطيع القاريء عذرا لأستمر قليلاً في الفترة التي تلت الإعلان/الوعد مباشرة لنعلم جميعاً أن الجميع دون إستثناء شارك ويشارك في المؤامرة علينا، وهاكم باقي القصة:

● نص الوعد/الإعلان: نشر في الصحف البريطانية صباح (٢٣ من المحرم ١٣٣٦ هـ: ٨ من نوفمبر ١٩١٧م) وكان نصه:

وزارة الخارجية

٢ من نوفمبر ١٩١٧م

## عزيزي اللورد "روتشلد"

يسرني جداً أن أبلغكم بالنيابة عن حكومة صاحب الجلالة التصريح التالي الذي ينطوي على العطف على أمانى اليهود والصهيونية، وقد عرض على الوزارة وأقرته:

"إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل غاية جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية، على أن يكون مفهوماً بشكل واضح أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن ينتقص الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن في فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى. وسأكون ممتناً إذا ما أحطتم اتحاد الهيئات الصهيونية علماً بهذا التصريح.

### المخلص

#### آرثر بلفور

- لقد حاول الكثيرون تبرير هذا الوعد بنظريات أسخف من السخف لتضليل الرأي العام عن الهدف الحقيقي المتمثل في المشروع الصهيوني الاستيطاني، إن بعض النظريات السخيفة حول دوافع بريطانيا لإعلان الوعد بإقامة وطن قومي يهودي في فلسطين ساعدت على تشويه الرؤيا والتشكيك بمحركات الوعد الحقيقية.
- ومن هذه النظريات أن بريطانيا أصدرت الوعد اعترافاً منها بخدمات البحاثة هايم وايزمن في اكتشاف الاسيتون الاصطناعي (الحيوي جداً) في أدق مراحل الحرب.
- وتروي الأسطورة أن لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني آنذاك سأل وايزمن "بماذا يستطيع أن يكافئه" فأجابته وايزمن "اصنع شيئاً لشعبي" "فتأثر" أساطين الإمبراطورية وأصدروا الوعد. (حتى البحاثة المعاصر ميخائيل بار زوهر يقبل هذا التعليل في كتابه "النبي المسلح" حياة بن غوريون ص ٣٣).
- وهناك النظرية الإنسانية التي روجها صاحب الوعد نفسه اللورد بلفور الذي زعم أن اليهود تعرضوا في أوروبا للطغيان والتعذيب ولذلك كان الوعد تكفيراً عن الجرائم التي ارتكبتها أوروبا بحقهم. (خطابه في مجلس اللوردات البريطاني في ٢١ حزيران/ يونيو ١٩٢٢ كما أورده كريستوفر سايكس في كتابه "مفترق الطرق إلى إسرائيل" ص ١٨-١٩).
- وأبرز لويد جورج في كتابه "الحقيقة حول معاهدات الصلح" بعض هذه العوامل، فأكد مثلاً أن بعض ما حفز بريطانيا إلى إصدار الوعد المعلومات بأن قيادة أركان الجيش الألمانية في ١٩١٦ ألحت على الأتراك أن يلبوا مطالب الصهيونيين بشأن فلسطين (ص ١١٦). وان الحكومة الألمانية كانت في أيلول/ سبتمبر ١٩١٧ تبذل مساعي جديّة للاستيلاء على الحركة الصهيونية (ص ١١٢١). واستطرد ان جمعية يهودية ألمانية تأسست في كانون الثاني/ يناير ١٩١٨ بعد وعد بلفور وان الوزير التركي طلعت، بإيعاز من الألمان، وعدّها وعداً واهياً لتحقيق رغبات اليهود العادلة في فلسطين.
- ولكن العامل المقرر في نهاية المطاف كان مصلحة الإمبريالية البريطانية لا الأنية فقط، بل البعيدة المدى. وهذا ما أعربت عنه الصحافة البريطانية البرجوازية في الفترة التي سبقت الوعد وأعقبته، فتحت عنوان "سياسة بريطانيا في فلسطين- ضرورة عبرية بريطانية" كتبت ساندي كرونكل:
- "ولا يوجد جنس آخر في العالم كله يستطيع أن يقوم بهذه الخدمات لنا غير اليهود أنفسهم.. ولدينا في الحركة الصهيونية القوة المحركة التي ستجعل امتداد الإمبراطورية البريطانية إلى فلسطين- في غير هذه الحالة ضرورة غير مسرة- مصدر كبرياء وركن قوة".
- وقبل هذا الكلام دعت الصحف البريطانية الأخرى حكومتها إلى إعادة فلسطين إلى اليهود خوفاً من أن تقع في أيدي مؤذية (للإمبراطورية البريطانية).

• وكتبت "ايفنغ ستاندرد": "لقد أوضحت المصالح البريطانية منذ وقت طويل ضرورة قيام دولة حاجزة بين مصر وحكومة تركية معادية، والصهيونية تزودنا بالحل".

• وتجرت الصحف البريطانية بعد صدور الوعد في ٢ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩١٧ فكتبت على سبيل المثال جلاسكو هيرالد تؤكد أنه سيكون للوعد أثر سياسي مباشر في أمريكا وروسيا وبولونيا والمجر ثم أضافت "ومن وجهة النظر البريطانية فالدفاع عن قناة السويس يتم على أفضل وجه بإقامة شعب في فلسطين ملتصق بنا، وإعادة اليهود إلى فلسطين تحت الرعاية البريطانية يضمن ذلك".

• وفي هذا الصدد كتب نورمان بنتويتش في كتابه "إسرائيل الناهضة" (لندن ١٩٦٠): لقد ربط حايم وايزمن عجلة الصهيونية بنجم إنجلترا معتقداً أن بناء فلسطين يجب أن يكون شراكة بريطانية- يهودية (ص ٢٩).

• وشرح مدلول ربط عجلة الصهيونية بنجم إنجلترا ماكس نورودو في خطاب ألقاه في احتفال جرى في البرت هول عام ١٩١٩ بحضور كبار الإمبرياليين لويد جورج واللورد بلفور- آنذاك كان ماكس نورودو قد تخلص من ولائه لألمانيا المهزومة وأصبح يهندي بالنجم البريطاني قال: "نعرف (أيها السادة) ما تتوقعونه منا. تريدون أن نكون حرس قناة السويس. علينا أن نكون حراس طريقكم إلى الهند عبر الشرق الأدنى. نحن على استعداد لأن نقوم بهذه الخدمة العسكرية ولكن من الضروري تمكيننا من أن نصبح قوة حتى نقدر على القيام بهذه المهمة".

• أوصد بلفور ومساعدوه في وزارة الخارجية منافذ عقولهم إلى واقع الأشياء وعميت بصيرتهم بحيث أنهم أثناء مداولاتهم بشأن تقرير مصير فلسطين ظلوا على اتصال وثيق بالصهاينة، ولكنهم رفضوا، بعناد وإصرار، أن يأخذوا بالاعتبار الاحتجاجات التي قدمها المسلمون المقيمون في لندن (لقد حالت ظروف الحرب دون الاستماع إلى رأي العرب أصحاب الحق الذين يعينهم الأمر لأن معظمهم كانوا يقيمون في مناطق العدو). ففي حزيران/ يونيو ١٩١٧ ألقى مرادوك بيكتول، الذي اشتهر فيما بعد بترجمته للقرآن، محاضرة في قاعة كاكستون نشرتها. فيما بعد، الجمعية الإسلامية المركزية في لندن في كراس بعنوان " المصالح الإسلامية في فلسطين"، والغرض من هذه المحاضرة كما قال صاحبها هو إزالة الجهل الخطير المتقشّي، عندئذ، في بريطانيا ليس بين عامة الناس فحسب بل حتى بين الوزراء، بشأن ما ينطوي عليه تطبيق الخطة المقترحة "بإنشاء دولة يهودية في فلسطين في ظل سيادة إحدى الدول المسيحية"، من مضامين ومخاطر، واشتملت تلك المحاضرة على عرض واف لمكانة فلسطين والقدس في الإسلام وفي التاريخ العربي .

• وقد قدم نص هذه المحاضرة المطبوعة في كراس إلى وزارة الخارجية البريطانية كاحتجاج إسلامي، وأطلع عليها كبار المسؤولين في وزارة الخارجية ثم بلفور نفسه، أما ملاحظات السير مارك سايكس عندما اطلع على المحاضرة فتكشف الكثير من النوايا المبيتة، فعندما ما لم يجد في نص المحاضرة ما يعيب هاجم صاحبها من الزاوية السياسية دامغاً إياه بأنه موال لتركيا، وهي تهمة سيئة في ذلك الوقت وأن تكن قد فقدت معناها الآن، وكانت هذه التهمة كافية لإهمال النصيحة الهادئة التي محضها للحكومة البريطانية، وهي أن فلسطين مقدسة لدى أتباع الديانات الثلاث: اليهودية والمسيحية والإسلام، وأن من الخطأ الاهتمام بمصالح الديانتين الأولى فقط وتجاهل الثالثة .

• وعادت الجالية الإسلامية في لندن إلى الهجوم من جديد، فبعد خمسة أيام من إصدار "وعد بلفور" قدمت احتجاجاً إلى وزير الداخلية البريطاني وطالبت بضمانات بشأن المسجد الأقصى وغيره من الأماكن الإسلامية المقدسة، ولكن، في هذه المرة، لم يعتبر السير مارك سايكس الموقعين على الاحتجاج مجرد موالين لتركيا فحسب، بل "عملاء" لتركيا وحض بقوة على تجاهل احتجاجهم، وكذلك لم تكن أسعد مصيراً من هذه رسالة الاحتجاج التي وجهها "السيد أمير علي" من مجلس شورى الملك في بريطانيا بتاريخ ١٠/١١/١٩١٧، إلى اللورد هاردينج الوكيل الدائم لوزارة الخارجية ومندوب الملك السابق في الهند، وقد رغب السيد أمير علي على أن يسترعي انتباه بلفور إلى واقع أن "فلسطين هي في نظر المسلمين أرض مقدسة دون أدنى شك"، وأن مدينة القدس لا يفوقها قدسية وطهارة عندهم سوى مكة والمدينة، وبين أن من "الغبين والإجحاف" بالإسلام وضع أحد "أقدس أقداسه" تحت السيطرة اليهودية .

• وفور إعلان هذا الوعد سارعت دول أوروبا، وعلى رأسها "فرنسا" و"إيطاليا" و"أمريكا" بتأييده، بينما كان في مناطق العالم العربي وقع الصاعقة، واختلفت ردود أفعال العرب عليه بين الدهشة والاستنكار والغضب.

- كانت فرنسا صاحبة أول بيان صدر تأييداً لتلك المبادرة الشائنة، فقد أصدر وزير الخارجية الفرنسي "ستيفان" بياناً مشتركاً مع ممثل الجمعيات الصهيونية "سكولوف"، عبّر فيها عن ارتياحهما عن التضامن بين الحكومتين الإنجليزية والفرنسية في قضية إسكان اليهود في "فلسطين".
- وإزاء حالة السخط والغضب التي قابل العرب بها "وعد بلفور" أرسلت "بريطانيا" رسالة إلى "الشريف حسين" إمعاناً في الخداع والتضليل، حملها إليه الكولونيل "باست" تؤكد فيها الحكومة البريطانية أنها لن تسمح بالاستيطان في "فلسطين" إلا بقدر ما يتفق مع مصلحة السكان العرب، من الناحيتين الاقتصادية والسياسية، ولكنها - في الوقت نفسه - أصدرت أوامرها إلى الإدارة العسكرية البريطانية الحاكمة في "فلسطين" أن تطيع أوامر اللجنة اليهودية التي وصلت إلى فلسطين في ذلك الوقت برئاسة "حايم وايزمان" خليفة "هرتزل".
- وفي عام (١٩١٨م) صادق الرئيس الأمريكي (ولسون) رسمياً على وعد (بلفور) في رسالته التي بعث بها إلى زعيم الصهيونية اليهودية في أمريكا، حيث قال: (أغتنم الفرصة لأعبر عن الارتياح الذي أحسست به نتيجة تقدم الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة والدول الحليفة، منذ إعلان السيد بلفور باسم حكومته عن موافقتها على إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ووعدّه بأن تبذل الحكومة البريطانية قصارى جهدها لتسهيل تحقيق ذلك الهدف)
- بعد ذلك وافق الكونجرس الأمريكي على وعد بلفور، وأصدر بياناً جاء فيه: (أن الولايات المتحدة الأمريكية، تؤيد إقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وفقاً للشروط التي يتضمنها وعد الحكومة البريطانية، والمعروف بوعد بلفور)
- أما مجلس النواب الأمريكي فقد جاء في بيان موافقته ما يلي: (حيث أن الشعب اليهودي كان يتطلع لقرون طويلة، ويتشوق لإعادة بناء وطنه القديم، وبسبب ما تمخضت عنه الحرب العالمية، ودور اليهود فيها، فيجب أن يُمكن الشعب اليهودي من إعادة إنشاء، وتنظيم وطن قومي في أرض آبائه)
- أما مجلس الشيوخ الأمريكي فقد ألقى فيه رئيس لجنة العلاقات الخارجية، الخطاب التالي: (إنني لم أحتمل أبداً فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين، إن بقاء القدس وفلسطين المقدسة بالنسبة لليهود، والأرض المقدسة بالنسبة لكل الأمم المسيحية الكبرى في الغرب، في أيدي الأتراك، كان يبدو لي، لسنوات طويلة، وكأنه لطفة في جبين الحضارة، من الواجب إزالتها).
- في ١١ كانون أول / ديسمبر ١٩١٧، أي بعد أسابيع فقط من الوعد، دخلت الجيوش البريطانية بقيادة الجنرال اللنبي القدس قائلًا عبارته الشهيرة "الآن إنتهت الحروب الصليبية"، وبدأت في تنفيذ وعد بلفور عملياً وحدثت على أثر ذلك صدامات بين العرب واليهود وتشكلت جمعيات عربية ضد المشروع الصهيوني، عندما أراد اليهود الاحتفال بمرور عام على وعد بلفور هدد العرب بالتظاهر غير أن المندوب السامي البريطاني هربرت صموئيل هدد بإلقاء القبض على كل عربي يتظاهر.
- وخلال انعقاد مؤتمر فرساي في كانون ثاني / يناير ١٩١٩ قدمت الحركة الصهيونية إلى المؤتمر خطة مدروسة واضحة المعالم لتنفيذ مشروعها، دعت إلى:
  - إقامة وصاية بريطانية لتنفيذ وعد بلفور.
  - أن تشمل حدود فلسطين ضواحي صيدا ومنابع الليطاني ونهر الأردن وحوران وشرق الأردن والعقبة وأجزاء من صحراء سيناء المصرية.
- في ٢٧/٠١/١٩١٩ عقد المؤتمر العربي الفلسطيني الأول وقرر رفض تقسيم الشام إلى دويلات، مع إعتبار فلسطين جزء من بلاد الشام وليست دولة مستقلة، كما شكل حكومة وطنية فلسطينية.
- في ٠٢/٠٢/١٩١٩ وفي باريس خلال انعقاد "مؤتمر الصلح" تخلى الشريف حسين عن فلسطين مقابل إعطائه دولة على الأرض العربية ووافق على إعتبار فلسطين تحت وضع عالمي وليس بالضرورة تابعة للدولة العربية الجديدة، وهكذا تم أول تنازل عربي رسمي عن أرض فلسطين!

• بعد ذلك وجه فيصل بن الحسين رسالة إلى الزعيم الصهيوني الأمريكي "فرانك فورتر" يقول فيها: "نحن العرب وخاصة المثقفين منا ننظر برغبة شديدة إلى النهضة الصهيونية، وسوف نعمل كل ما بوسعنا لمساعدة اليهود، ونتمنى لهم وطناً ينزلون فيه على الرحب والسعة!"، ما أشبه اليوم بالبارحة.

• وفي ٣١ أيار/مايو ١٩٢٠م صدر إعلان الانتداب على فلسطين في مؤتمر سان ريمو وعين البريطاني الصهيوني هربرت صموئيل مندوباً سامياً في القدس، وكان وزيراً للداخلية البريطانية ومتعاطفاً مع الصهاينة

• وبعد ثلاثة أيام فقط من إعلان صك انتداب بريطانيا على فلسطين، كشفت بريطانيا عن مضمون وعد بلفور، واحتج الفلسطينيون وحدثت اشتباكات لأول مرة بين الحرس البريطاني والعرب. كما منعت بريطانيا المؤتمر الفلسطيني الثاني من الانعقاد في حيفا عام ١٩٢٠، بعد أن أصبح تشرشل وزيراً للمستعمرات عقد مؤتمراً في القاهرة للعسكريين والموظفين البريطانيين لمراجعة الوضع البريطاني في المنطقة، حيث أوصى المؤتمر:

- الاستمرار في تنفيذ وعد بلفور، لأن بريطانيا ملزمة بإنشاء وطن قومي لليهود.

- ان تشكل في شرق الاردن مقاطعة عربية بقيادة الأمير عبدالله يكون مسؤولاً عنها أمام المندوب البريطاني دون أن تكون المقاطعة مشمولة في النظام الإداري لفلسطين، ودون أن تنطبق عليها شروط الانتداب. وليكون شرق الاردن مستعداً لاستقبال من يضطر من الفلسطينيين للمغادرة.

• وفي العام ١٩١٨ تشكلت جمعية الفدائية وهي جمعية سرية ضمت عدداً من رجال الشرطة الفلسطينية، وقد لعبت الجمعية دوراً مهماً في الإعداد للثورة العربية في فلسطين وفي نشر الوعي بالخطر الصهيوني بين عشائر البدو في شرق الأردن ضد اليهود غير أن اعتقال زعمائها أضعفها وقضى عليها غير أنه لم يوقف جهاد الفلسطينيين والعرب ضد المخططات الصهيونية فكانت ثورة النبي موسى (٤ - ١٠ نيسان /أبريل ١٩٢٠) وثورته يافا (5-1 أيار / مايو ١٩٢١)، ثورة البراق (١٥ آب / أغسطس ١٩٢٩) وهي مواجهات محدودة كانت دوافعها عاطفية، ولم تكن منظمة مما حدّ من إمكانات تطورها أو تحقيق أهدافها وان كانت لعبت دوراً في تأجيج الصراع وتعطيل المشروع الصهيوني جزئياً وبشكل مؤقت، ثم حركة الشيخ المجاهد عز الدين القسام (١٩٣٥).

• أعلن الثوار في فلسطين الإضراب وحصلت معارك عنيفة بين الثوار والقوات البريطانية والصهيونية في شهر تشرين الأول عام ١٩٣٥. وقامت وفود فلسطينية بزيارات إلى عمان والرياض وبغداد، ونتيجة لضغوطات بريطانية، قام الملوك والرؤساء العرب بإصدار نداء مشترك في ١٠ تشرين أول/ أكتوبر ١٩٣٥ دعوا فيه العرب إلى «وقف الثورة، والاعتماد على النيات الطيبة» لصديقتنا بريطانيا العظمى التي أعلنت أنها ستحقق العدالة».!!! ونتيجة لذلك دعت اللجنة العربية العليا إلى وقف الإضراب، وإلى حل التنظيمات العربية وعودة الثوار العرب إلى دولهم. وكانت حصيلة هذه الثورة: مقتل ١٦ رجل بوليس و٢٢ جندياً بريطانياً، وجرح ١٠٤ رجال بوليس و١٤٨ عسكرياً، ومقتل ٨٠ مستوطناً صهيونياً وجرح ٣٠٨ مستوطن صهيوني. أما العرب فقد استشهد منهم ١٤٥ رجلاً وجرح ٨٠٤ آخرون. وأرسلت بريطانيا لجنة بيل الملكية لتقصي الحقائق إلى فلسطين، ولكن الفلسطينيين أرادوا عدم مقابلتها، فهدد الملوك العرب الفلسطينيين، وطلبوا منهم الموافقة على مقابلة اللجنة.

### الوعد المشؤوم في كلمات حزينة:

لم يكن غريباً أن تقف قصائد شعراء فلسطين عند الحقيقة المرعبة المسماة وعد بلفور، فهذا هو شاعر فلسطين الأول إبراهيم طوقان والذي ولد قبل ذلك الوعد باثني عشر عاماً يعيش هذا الحدث معه حتى في مناسبات أخرى، فتراه يقول في الطوفان الذي حل بمدينة نابلس، متحاملاً على جراحه الذاتية ومنتذكراً بل ومنتذكراً بالوجع الذي حل بالبلاد، يخاطب الإنجليز المستعمرين وما صاغوه من آلام وجروه على البلاد من ويلات ومصائب بهجرة اليهود إليها:

منذ احتلتم وشؤم العيش يرهننا \* فقرا وجوعا وإتاعسا وإفسادا

بفضلكم قد طغى طوفان هجرتهم \* وكان وعدا تلقيناه إيعادا

لكن شاعرنا يقف بصراحة أمام حادثة (الوعد الكئيب) الذي جر الكآبة إلى فلسطين فاصطبغت به فكانت قصيدته في تلك المناسبة التي حملت ذلك الاسم يورخها شعرا وتعكس لنا عظم الحدث وجلال المصاب في الذكرى التي مرت عام ١٩٢٩ فأعلنت فلسطين الحداد:

بلفور كأسك من دم \* الشهداء لا ماء العنب

أما في البيت الثاني عشر من نفس القصيدة فإنه لا يأبه بالوعد إذا لم ينقضه صاحبه لأن أبناء الوطن سيكونون جاهزين لنقضه بالقوة:

لا تنقض الوعد الذي \* أبرمته فله نواقض

وهنا يأتي مطلع البيت الثالث عشر طبيعيا في هذا السياق المغمور بالوعيد والمدجج بالغضب:

ويل لوعد الشيخ من \* عزمات آساد روابض

أما عبد الرحيم محمود "الشاعر الشهيد" فإن الوعد المشؤوم يعيشه ولا يفارقه، عبد الرحيم محمود هو أكثر من وجد له شعر في وعد بلفور، حيث يذكره صراحة في عنوان لقصيدته الرائية (وعد بلفور) في ثاني قصيدة له في الديوان، فالتلث الأخير مثلا من القصيدة عبارة عن تهديد ووعد للمستعمر لكنه من نوع آخر غير رأينا عند إبراهيم طوقان، فهنا التهديد لكل من تسول له نفسه أن يطمع في أراضي وثروات العرب:

يا ذا الحليف سيوفنا ورماحنا \* لم تنتلم فاعلم ولم تنتكسر

بالأمس أبلت في عداك وفي غد \* في كل قلب غادر متحجر

أما (عيد الجامعة العربية) فإنه ينثر القوافي التي تحكي عن الشتات الذي كان جمعه على يد الجامعة، إنها درر العروبة المنثورة، ومن النيل إلى المغرب إلى الشام يقر بخرافات الحدود التي تسعى لإزالتها أهداف الجامعة:

ذهبت خرافات الحدود فكلها \* وطن لنا لو صحت الأفهام

وتتكرر قافية الأحلام مع شاعرنا ثلاث مرات في ستة عشر بيتا، لكنه يدخل صراحة بعد ذلك إلى وعد بلفور ومعاتبة الذات ولوم الأقربين قبل لوم الأعداء:

بلفور ما بلفور ماذا وعده \* لو لم يكن أفعالنا الإبرام

إنا بأيدينا جرحنا قلبنا \* وبنا إلينا جاءت الألام

أما في قصيدته الثالثة حول الوعد المشؤوم فلقد أسماها الشاعر " أحاجي في ذكرى وعد بلفور " وقد جعلها على شكل ألغاز وأحاجي، كان أحد طلبته يقف ليجيب عنها بعد أن أعطاه أجوبتها، وكان قد ألقاها في فندق فلسطين سنة ١٩٤٧ وتوزعت هذه الأحاجي في أجوبتها بين (الإنجليز، اليهود، الثورة، هيئة الأمم، روزفلت " الرئيس الأمريكي آنذاك"، رئيس حزب العمال البريطاني، الزعماء الفاسدون، صندوق الأمة .

أما الحديث عن قصيدة (يا وعد بلفور) للشاعر يحيى برزق فلا تقل أهمية عن ما سبقها، وإذا كان ميلاد هذا الشاعر في العام الذي قيلت فيه قصيدة إبراهيم طوقان(البلد الكئيب) أي في عام ١٩٢٩، فإن الوقوف عند هذه الأبيات يحمل أشياء يصعب أن تعبر عنه الكلمات:

وليس ينسى لديغ النار قسوتها \* فكيف ينسى الذي يحيى على النار

ويواصل نرف الوجع والحديث عن شعبه وما يلاقه من القريب قبل الغريب

وكل يوم له جار يصارعه \* فدمعه وهو في حضن الردى جاري

يبببب في حيرة الملهوف ليس يعي \* يشكو إلى الجار أم يشكو من الجار

وهو رغم ما يحمل في قلبه من ألم ورغم الوعد الذي أصاب بلاده وما فعل العداة بوطنه ورغم جراح صبرا وشاتيلا النازفة إلا أنه يحمل أملا بالفجر القادم:

يا وعد بلفور لكننا وإن عبثت \* بنا العداة وألوى كل جبار  
ورغم صبرا وشاتيلا وما فعلت \* يد التتار بأحرار وأبكار  
لا بد أن يشرق الفجر الندي على \* ربوعنا بين أزهار وأشجار

سأتوقف هنا فالباقي نعرفه جميعا وما جرى بعد ذلك عاشه الكثيرون منا إما كشهود على الحدث نفسه أو ضحايا لنتائجه.

### لنراجع سويا ما قرأناه حتى الآن:

• الكل تأمر وبشكل واضح وصريح وموثق دون إستثناء وكان أهم اللاعبين: بريطانيا، فرنسا، الولايات المتحدة، ألمانيا، روسيا بالإضافة للعرب ممثلين بالشريف حسين قبل الوعد وبالملوك العرب بعده

• الوعد كان ممن لا يملك لمن لا يستحق

• المشروع الإستيطاني الصهيوني تمتد جذوره لمئات السنين

• صدور الوعد كان نهاية للمرحلة وليس بداية لها

• لم تتغير الأساليب الخداعية يوما

• وعد بلفور سبقه وعود وتلاه وعود والشعب الفلسطيني كان دائما من يدفع الثمن

• ما سبق لا يعتبر مبررا للتباكي والنواح بل حافزا للعمل

• أبناء جلدتنا كانوا ولا زالوا جزءا من المخطط

• لقد بدأ الإعتراف بهذه الجريمة التاريخية وعلينا أن نمارس كل أنواع الضغوط لتصحيحها وإعادة الحق لنصابه وهذا مثال لذلك: وزير الخارجية البريطاني الحالي جاك سترو أقر بمسئولية بلاده التاريخية عن الكثير من النزاعات الحالية بالمنطقة العربية وخاصة القضية الفلسطينية والنزاع بين الهند وباكستان حول إقليم كشمير. وقال سترو في مقابلة مع مجلة "نيو ستيتمان" الأسبوعية الجمعة ١٥-١١-٢٠٠٢: "إن الكثير من النزاعات الحالية بين الدول هي من نتائج ماضيها الإمبريالي، وينبغي علينا تسويتها". وأضاف قائلا: "إن بلاده أعطت وعد بلفور لليهود، والذي يعدهم بوطن في فلسطين، وفي الوقت نفسه منحت ضمانات متناقضة لكل من الفلسطينيين واليهود.. هذه الأشياء تمثل تاريخا مهما لنا، لكنه ليس تاريخا مشرفا".

### أخيراً:

منذ وعد بلفور وحتى الآن، دفع الشعب الفلسطيني ثمناً باهظاً جداً لمواجهة المؤامرة والتصدي لها ولتأكيد أن حقاً لا يموت ووراءه مطالب. لقد أثبت الشعب الفلسطيني طوال سنوات نضاله المديد انه الشعب الحي الذي لا يموت، وأنه صاحب الحق الذي لا يساوم عليه، وأنه وحده صاحب الأرض التي لا يملك أحد ان يخضعها للقسمة، وأنه لن تستطيع كل قوى الأرض مجتمعة أن تنسينا حقنا في وطننا وترابنا وأرضنا ولو بعد آلاف السنين ولو إلى آخر العمر والدهر.

DrHamami@Hotmail.com د. إبراهيم حمامي

تشرين ثاني/نوفمبر ٢٠٠٤

### أهم المراجع:

- ايميل توما، جذور القضية الفلسطينية (الأعمال الكاملة) المجلد الرابع، حيفا ١٩٩٥.

- وثائق فلسطين، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٨٧.
- وعد بلفور ... قصائد بلون الغضب بقلم : سمير عطيه - المركز الفلسطيني للإعلام - لندن
- وعد بلفور .. من هنا كانت المأساة بقلم سمير حلبي
- تاريخ فلسطين المصور، طارق سويدان، دار الإبداع الفكري ٢٠٠٤
- مسؤولية بريطانيا في حرمان الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره الدكتور عبد اللطيف الطيباوي مجلة شؤون فلسطينية ، آب/ أغسطس ١٩٧٢
- دراسات وأبحاث لعدد من الأساتذة الأجلاء
- معلومات صحافية و معلومات من من مواقع مختلفة على شبكة الإنترنت.

